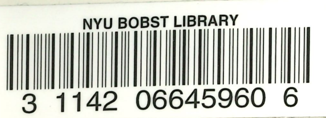
ضدّ

شعر

ناظم حمَّادي

ناظم حمَّادي

ضدّ - شعر





ناظم حمَّادي

شاعر ومحامٍ سوري، من مواليد جسر الشغور 1968.

له مجموعة شعرية منشورة بعنوان (أوراق التوت الغامضة) صادرة عن دار التكوين في دمشق.

ناشط في الحقل المدني والحقوقي، وعضو مركز توثيق الانتهاكات.

اختطف في دوما مع مجموعة المركز (رزان زيتونة، سميرة الخليل، وائل حمادي) في 9 كانون الأول/ ديسمبر 2013، ولا أخبار عنهم حتى الآن.

هذه المجموعة كان يحضّر لنشرها، لكن عمله الحقوقي والمدني في الثورة ومن ثم اختطافه أخّر صدورها حتى اللحظة.





السعر: 6 دولارات

ISBN 978-605-226-032-6



ضدّ

شعر

ناظم حمَّادي

تصميم الغلاف: سعاد طيب

ناظم حمّادي
ضدّ
شعر
96 ص، 21 سم.



Printed Book ISBN: 978-605-2260-32-6
E-Book ISBN: 978-605-2260-31-9

العنوان بالإنكليزية
Against
Poetry
Nazem Hammadi

الطباعة والتوزيع



هاتف
الدوحة، قطر: +974 44 885 996
غازي عنتاب، تركيا: +90 342 3265885

صندوق البريد: 22663 الدوحة، قطر
27000 غازي عنتاب، تركيا

البريد الإلكتروني: info@darmaysaloon.com
الموقع الإلكتروني: www.darmaysaloon.com

الطبعة الأولى
غازي عنتاب، كانون الثاني/ يناير 2018

المحتويات

تقديم المجموعة

أنا ناظم.. أنا شاعر

في عام 1985 مع بداية المرحلة الثانوية، عرفت ناظم. في أول لقاء بيني وبينه في حصة الاستراحة، سألني عن اسمي، وبماذ أحلم، أجبته وسألت: وأنت؟ فأجاب: أنا ناظم.. وأنا شاعر.

لاحقًا، وكما الشبان جميعهم دائمًا، كنا جزءًا من مجموعة رفاق تشتتوا فيما بعد كلّ في طريق. كانت تلك المرحلة تشهد بدايات عهد جديد من تكريس القمع الأبدي لسلطة النظام (في نهاية الثمانينيات). بالطبع لم ندرك وقتئذ ذلك، لكننا جيل عايش منذ تفتّح وعيه حوادث كبرى قاسية من مثل حرب بيروت ومجزرة حماة. كانت مشاعرنا ممتلئة بالسخط المغلّف بسخرية وجدنا فيها سبيلًا لإيجاد ممرات لأحلامنا الكثيرة.

ولأن الوصايا تقول إن (الحيطان لها آذان)، التفتنا مرة أخرى إلى القراءة والكتابة والدراسة والعيش في عوالم ومدن مُشتهاة، كان أوّلها دمشق التي نحلم بها. وهربنا كذا الأمر إلى الفنون جميعها، علّها تساعدنا نحن الاثنين في درء الانغماس في التشابه.

بقينا وحدنا تقريبًا بعد مدّة قصيرة. رغبة الاختلاف وممارسة الحياة بحرّية، البحث عمن يشبهنا، وسيناريوهات لا تنتهي، مرة

نصبح ممثلين وأخرى كاتبين وثالثة، ورابعة. عشنا في (حوارات المسرح والسينما والأغاني.

سنوات تلت ذلك، خذلت الأوضاع (ناظم) بطريقة مذهلة: التعثر الدراسي، تدهور وضع الأسرة الاقتصادي، العمل في أماكن تستهلك كل ما هو جميل لديه، لعنة الأخ الأكبر، الخدمة العسكرية، وشياطين الحياة الأخرى في دمشق.

وهكذا كان، ابتعد عن الجامعة مرغمًا، لكنه اشتغل بصمت على بناء رؤيته الأخلاقية والمثالية عن الحياة والآخرين وعن سورية التي يريد. شعرًا ورواية ومسرحًا وكل ما يمكن أن يطرد القبح من تفاصيل حياته القاسية. كان هذا كفيلًا بتكوين ناظم الذي يعرفه الجميع.

وماذا بعد؟.

كان لابد من وجود من يشبهنا أيضًا. اتسعت دائرة المقهورين والحالمين معنا، لكنه كان الأكثر وضوحًا في ما يريد، والأكثر تعثرًا كذلك.

في مخيم اليرموك: هنا عادل الجميل وسعاد الطامحة وخالد غريب الأطوار المتمرد أبدًا.

في مخيم السبينة: لا بأس بالمناكفة الدائمة مع راشد المشاغب وحسين والرفاق الجميلين هناك.

في برزة: حين تأتي (ندى صبح) في زياراتها السنوية، فتكون تلك الأيام خارجة على نص الحياة اليومية في دمشق.

ثم بين منزلي ومنزل صديق استثنائي هو (وائل الحركي) في حي مغرق في عشوائيات التضامن في جنوب دمشق.

ودائمًا كان الشعر يرافقنا. لم يكن يخبئ قصائد للنشر، وما إلى ذلك كما يفعل بعضهم، يلقي علينا أحدث ما يكتب بطقس خاص به؛ يتنحنح، يشرب الماء، يشعل سيجارته، ويأخذ نفسًا عميقًا ثم ينظر إلينا جميعًا، ويلقي الشعر بصوته وطريقته المميزة. كان الشعر يسكنه، كيف لا وهو من كتب مرة: «سنذهب إلى العمل مسرعين في الصباح.. ونحن نفكر بالشعر».

عندما نشر مجموعته الشعرية الأولى (أوراق التوت الغامضة)، قدم لي نسختي الخاصة، وكتب في بدايتها الآتي: «حسام: أنا ناظم.. وأنا شاعر».

مع ربيع دمشق، بدت الفرصة سانحة لإزاحة سواتر المدينة التي تحاصرنا. كانت مرحلة مفصلية في حياة ناظم خصوصًا، انتشلته من مرحلة يأس كانت الأصعب في مراحل حياته التي أعرفها. دخلت رزان زيتونة ووائل حمادة وخليل وسميرة والآخرون في حياته لتصنع تلك العلاقات مفعول السحر.

قبل قيام الثورة بأربع سنوات، أصبح ناظم محاميًا، وبدأ بممارسة مهنته والعمل في الشأن العام.

خلال سنوات الثورة، لم أر ناظم كثيرًا. التقينا بضع مرات في بيوت كانت تتنقل إليها رزان، وأحيانًا في الشارع. نزح أهلونا باتجاهات مختلفات، هاجر بعضهم، وبقي بعض آخر.

اختطف ناظم والأصدقاء معه، واعتقلتُ بعد وقت وجيز. بعد خروجي هربت إلى تركيا لا أحمل شيئًا سوى نسختي من مجموعته الشعرية المنشورة.

عرفت أن والد ناظم قد توفي، وانتقلت عائلته لتعيش في قريتهم في ريف إدلب. لكنّ حظي الطيب كان وجود أخته الرائعة (ميساء) جارة لي في (غازي عنتاب) ثم في إسطنبول. على الأقل أرى وجهه وصوته ومزاحه في كلامها.

صوت ناظم يحوط بي، أهاتف أمه وإخوته كل حين لأتأكد أني على قيد الحياة.

هذه المجموعة الشعرية (ضدّ)، أنهاها ناظم قبل انطلاق الثورة. نحاول جميعًا أن نتذكره من خلالها، هذا إن غاب عن ذاكرة بعضنا.

والآن، كلما حاولت استحضار صورة ناظم «الذي كنت أراه يوميًا تقريبًا»، لا يحضرني سوى ذلك المشهد في (ثانوية اليرموك)، ونحن نلبس الزيّ العسكريّ الدارج آنذاك، وهو يعرّف بنفسه إلي:

أنا ناظم.. وأنا شاعر

حسام السعد

إسطنبول 2017/8/14

ناظم.. الحلم بسموات أجمل

كلّما تذكرت ناظم حمادي قفزت إلى رأسي تلك الحكاية عن بداية تعارفنا، حين سألته من أين من البلاد؟، وقال إنه من قرية خربة العامود، قلت، وهل لدينا في فلسطين مثل هذا الاسم؟ لم يخطر فيبالي أن يكون ناظم الذي عرفته مع مجموعة من الأصدقاء من فلسطينيي مخيم اليرموك، وقد نشأ ودرس وكبر بينهم، أن يكون متحدّرًا من أبعد قرى الشمال السوري، هذا عدا أننا اعتدنا، نحن الفلسطينيين، أن ننسب كل ما هو جميل إلى فلسطين.

سنوات بعدها ظللت ألتقيه في مخيم اليرموك، أو في حديقة غنّاء اخترعها وأبدعها صديق على سطح المخيم، ولم يكن سوى ذلك الشاعر الحالم (الآن أرى ذلك بوضوح)، قليل الكلام، مسندًا رأسه، في خضم صخب الأصدقاء والسهرات، بيدين متشابكتين، محدّقًا في أي سماء ممكنة، حتى لو كانت سماء المخيم المؤصدة.

لم يكن ناظم سوى ابن جيلنا الموزع هنا وهنا وهناك، ممثلًا على خشبة المسرح، ومتابعًا شغوفًا في مهرجانات السينما في دمشق، شاعرًا، يكتب تقريبًا بصمت من دون أي شغف بالمنابر، وناثرًا أوراق قصائده على الأصدقاء بأقل جلبة ممكنة، وبأقل احتفال، إن لم نقل بخجل.

هو ابن المخيم أو حتى العشوائيات، حيث لا يتاح للناس أن يجدوا مسارًا جاهزًا وسهلًا، فالمرء هناك عليه أن يبتكر طريقه الخاصة بالمشي المتواصل على دروب من غبار وطين وزجاج مهشم، لن تفضي غالبًا إلا إلى دوامة لا نهائية، ما دامت تلك اليد الهائلة المستبدة تقيم فوق سماء المخيم، وتهيمن عليها وعلى طرقاته.

لذلك سيكون بدهيًا أن يصبح الشاب الحالم بسموات أجمل من أوائل المنضمين إلى ثورة السوريين. أين أنت يا ناظم؟ في دوما، حرستا، رنكوس، برزة البلد، حي الميدان، ولعله في هاتفنا الأخير كان يجيب بصوت هامس محاصرًا في أحد البيوت إثر تظاهرة ومطاردات.

كذلك لم يكن مفاجئًا أن يختار ولد العشوائيات الذي سيتخرّج أخيرًا من كلية الحقوق، العمل مع محامين مشهود لهم بالدفاع عن معتقلي الرأي. بدهية ألا يكون الشاعر حامي العقارات والمقاولات والسماسرة المربوطين بهذه الطريقة أو تلك بأصابع تتحكم بها فروع الأمن .

لكن صديقنا بات أكثر انشغالًا الآن، لا تراه إلا مصادفة في شوارع دمشق، المدينة. أين أنت يا رجل؟ (أتعلم الرقص)، (أكتب شعرًا)، و(أحلم). (قل لي بالله عليك، حدّثني شيئًا عن رزان زيتونة، دعني أصافحها، كي أتأكد من أنها امرأة من لحم ودم، لا محض أسطورة»)، أقول له، وكنا قد سمعنا قصصًا حينذاك، ما قبل الثورة عن جرأة رزان وعنادها، والاستدعاءات الأمنية المتتالية لها.

حتى اللحظة أكاد لا أصدق أن صديقنا، الشاعر الحالم، والراقص، والممثل، والإنسان الهش، مخطوف ومغيبٌ منذ سنوات، بلا أمل. هكذا، بعد أن وعدنا أنفسنا بالوصول إلى عالم أجمل، وطرقات أكثر نضرة، وسموات بلا حدود.

ناظم، يا صديقي الشاعر، بالله عليك دعني أصافحك مرة واحدة فقط، مرة أخرى فقط، كي أتأكد أنك من لحم ودم، لا أسطورة، أنك عبرت حياتنا فعلًا، ولم تكن وهمًا فحسب.

راشد عيسى

باريس 2017/8/16

داهم جيشُ ملائكةٍ ليلًا غرفة إبليس

فتّشوها، خطيئةً.. خطيئةْ

لم يجدوا.. إلا

كأسَ نبيذٍ فارغة

وكثيرًا من الشِّعر في حبِّ الملائكة.!

القصـــــائـد

أهالي عبقر

أنا، لا أنتَ

تاهَ عن وصيّة الماء:

لا تبتعد كِثيرًا عن قلبك

فتخطفك الكآبة

***

فهل تغفر لي، يا حبيبي؟

غفلةَ الحبر

حين ارتَجف القلبُ من بردٍ سكن المكان

المكان والزمان.. الجاثمَين كهرمِ الفِرعون.

أحببتُ

أنتَ علّمتني

أنَّ النّثر سماءُ الطّير الأثيرة

وما أخفت من الكلام خيام النّابغة

ينصت له السّابلة

وينثرنه كالحبقِ على التّلال

يُرضِع الخيال

فخّ الخطيئة، وطوق النّجاة

فهل أنا حقا ابنك البارُّ؟

أم من جِماع الضّوء والرّمل

ورثتُ شكلَ الضّفة لا النّهر؟

أم أنا بوقكَ؟

لا حيلةَ لي بالقصيدة

ولا فضْل لضربات فأسي في مَنْجمها

أربعون عامًا وأنا أزعم أنّي:

بِضع ذرَّاتٍ من الشِّعر

وأَينك؟

إذ يهزأُ الأخضر مني

طفلًا لا كتاب له

ولا صوتَ لطائرٍ يؤنِسه إذا ضلّ

أين نصيبي من الأمس

ومن الشّمس

من القمر، ومن الضّجر

ومن قلق المؤمنين من لِساني

إذا زل.

وهل أنا طريد عُشّك؟

هاأنذا

آتيكَ كما عرفتني

ماضيًا؛ حاضرًا؛ وغد

في صنَّارة الصيّاد ينتظر

آتيكَ

أجرُّ المدينةَ بحبلٍ

فلا هي كلبٌ وفيٌّ أُبصِرُ به

ولاهي نظرْ

ومن أنا؟

قل بكل جنونك ولا تخنّي

أأنا المسافر والغبار، أم النبع والظامئ؟

أم شاعر مقامر؟

من أنا؟

لأغفر لما لست هو

وأحيا بما أنا عليه

وتهدينها

بل أهدِنيها، أهدِنيها

تلك الضَّحكات

كمن وجد نايًا

يطلع الضَّوء منكَ

وإليكَ

أيُّها الكلام القديمْ

لا خُضرة من تدفُقكَ

ولا يأس في جذوركْ

وحدكَ أملُ نفسكَ

وفيكَ.. المجهولُ العظيم.

***

ما أجملكْ!

ما أجملكْ!

عتيقًا

كحُضْنِ أمٍّ

وحيًّا

كرائحة إثمٍ

وهشًّا

كقبضَةِ غيمْ

***

طوبى لكْ

طوبى لكْ

لا يفنيكَ انتظارٌ، ولا بكاءُ

لا يوجِعكَ احتمالُ

لا يأسُركَ انتحارٌ، ولا بقاءُ

لا يقلقُك اكتمالُ

ولا تنوس مثلنا

بين حبٍ مقيمٍ؛ ورحَّال

***

هي لكْ!

هي لكْ

أبديةٌ زرقاء

لا تكترث إن مرَّ عمرٌ على جسدٍ

لم يجد فيه قلبه معه

ولم يحمِل من الذكرى إلَّا

وشْمَ الغياب

ولا تحتَرس، كشاعرٍ!

قلَّد أميرةَ السَّفر قصائده كُلَّها

وراح يبحثُ عن منفى في الضباب

ولا تهجسْ

أن ينقص ماءك ثلاثة وأربعين رشفة

وأنتَ تُغنّي:

ربَّما... صُدفةٌ

أو لعنةٌ

ربَّما... كتاب

***

حرٌ أنتَ

حرٌ أنتَ

كمُهرِّجٍ ملَّ من مراوغة الملكْ

فألْبَسه تاجًا من الهذر!

حرٌ أنتَ

كشاطئ

لم ينتظر من السفن إلا

إيماءة السَّفرْ.

النَّهار السابع

إلى: حسام السعد

قُلْ:

يقينٌ مُدنَّسٌ/ عبثٌ أخضرٌ

وانظر إلى وجهكَ في الماء

أنتَ، ذاتكَ، الميّتُ والحيُّ

وخارجكَ اليباس ماكرٌ

يتفقّدُ شِراكه في مخدَع الأكيد

فاختر، كيفما شئت، صفات اسمكَ

فهي قطُّك الأليفُ في مساءٍ مترهِّلٍ

وعكّازكَ حين يخذلكَ الوريد

قُلْ:

ضمتٌ طعنةٌ/ صرخةٌ مطرٌ

وعدِّل في وصيَّة الرعاة:

لا حِكمة للدم المتروك على عتبة النَّدم

واكتب في جوف البئر الذي ضمَّك:

لو كان لي خيالُ غزالٍ، لعانقتُ الذِّئبَ

وإخوتي.

لو كان لي دمُ ديكٍ، لمزَّقتُ القميصَ ولهًا

لتحْبَل مني حكايتي

قُلْ:

ذاكرةٌ قنصٌ/ بلادٌ ذَبيحةٌ

وروِّض القلبَ، إذ يخادِعهُ طيفُ غرناطة

فيجهَشُ:

أنا الذي رأى، حلمه على العشب ارتمى

وصدَّق أن الضوء ارتوى

وصار كالفراشة يدنو وينأى.

روِّض القلبَ

ولا تصافح الملك إذ يطعم النار شِعرك

إن هي، إلَّا مدنٌ ورق

فكن ذاكرةً للزَّمن...الرَّديء

قُلْ:

الـ (نحن) معتقلٌ/ الـ (أنا) طيرٌ

وانفض عن قلبكَ غبار الظَّن

بأنَّ أحدًا سيحمل عنكَ

عبءَ السَّهو عن حُلمكَ

وكِلاهما لكَ

الفرحُ والخيبةُ

فعد، كلما أوجعكَ القلبُ، إلى أوَّلكَ

الماء.

خالي الفراق

وشاعرٌ مقامرٌ، يغفو على ساعده الفناء

دفاتر الأمير

إلى: فارس مراد

في مملكةِ الصمتْ

طائرُ البوم الذي عاملنا بقسوةٍ

يحطُّ على الغصن المطلِّ على حديقة الجنرالْ

***

وأحذيةٌ ثقيلةٌ، تدبُّ في المدينة القديمة،

مفزعةً عتمةَ الليلِ

لتضيء حلم الجنرالْ

كذلك البيوتُ والياسمين والأمَّهاتُ

فقد احتضنوا أمنياتهم

مفسحينَ الهواءَ لخطى الجنرالْ

***

هذا ما أنبأنا البومُ به

وهو يطلُّ على قلب الجنرالْ

تداعيات.. ليست شعرية

حِكمةُ الدَّهرِ

أَقْوَمُ النَّاسِ

أشدُّهم انحناءً!

نكران

ليست المعضلة بما يفعله الحجر

في جسد الحياة

الأكثر غرابة

ما نفعله نحن سُلالة الطين

إذ نرجم به الحياة!.

في التماثيل

ليس أنفعُ من مهنة أَبي الهولْ

الصَّمتْ

إنَّها تجعلُ العالم يهذي بكَ

يرتعدُ منكَ

وبصمتٍ

يرقدُ في جوفكْ.!

يأسْ

الأوَّل

العظيم

الخالد

الأبديَّ

***

تبًّا؛ ما أضيق اللغة!

مناظرة

أنا أفضلُ الخلقِ

***

تريدون الدَّليل؟

هل ثمَّة آخرٌ يقول ذلكَ؟

خطابُ العرش

يا... أنا

يا... أناا

. يا... أنااا

ومنّي، وعليَّ

السّلام

تعميم

نَظَر إلى المرآة

فلم يرَ أحدًا

فكَّر:

ما أعظم اللَّا مرئيَّ!

له الأشكال كلّها

ولا هو... مشكَّلٌ

عمِّموا اللَّا مرئي.

سوء فهم

هل تعتقدون أنَّني أكره الحريّة؟

أنتم مخطِئُون

إنَّها تسكُنني

وأنَّي تنفَّسَتْ

أختنقُ.

عدوى

الضَّحك!

يا أميرُ: احذر الضَّحك

فإنّه:

كلَّما علا ضحكُ النّاسِ أمامكَ

أتقَنوا أكثرَ

حيلةَ الخلاص

من جوف أبي الهولْ.

تعقُّل

لكم تبدو هذه الكلمة مفزعة!

إنَّها بدقةٍ تعني:

القفص.

عولمة

تدريب الذَّات على الألوهية

حسنًا!

ما نفعل بغريزة الـ: لاااا؟

ضد العنصرية

أترى، جذوع شجر مبتور

في غابة أفريقية؟

إنَّها الورق الذي تقرأ عليه الآن

بفخر واعتزاز

كلماتي عن العبوديَّة!

هوامش

-1-

(العينُ لا تُقاوِم المِخْرَزْ)؟!

في كلِّ الأحوالْ، أنا لا أحتاجُ سوى إلى واحدة

كي أَنظر إلى الشّمس.

-2-

(ضعْ رأسكَ بين الرّؤوسْ

وقلْ: يا قاطعَ الرُّؤوسْ)؟!

محظوظٌ، من سيجدُ الوقت الكافي

ليسعد بإرادةِ النُّطقِ.. بالجملة الثانية.!

-3-

(الأرضُ الواطئة، تشربُ ماءها

وماءَ غيرها)؟!

بلا شكٍّ، هذا صحيح، حتّى إنَك تَجدُ فيها

كلَّ أنواعِ الطَّحالبْ.

-4-

(اليدُ الَّتي لا تقدرْ عليها، قبّلها

وادعُ عليها بالكسر).؟!

وماذا عن البثور التي ستطفحُ

في أرض روحي

بعد تقبيل تلك اليد الوسِخة؟

-5-

(المرأة، ناقصةُ عقلٍ، ودين)!

وعلى ذلك، تصحُّ قراءةٌ أخرى

أنّ كلاهما

ينقصان امرأة

-6-

(المرأةُ، بنصفِ عقل)!

تأمّل

لَكَمْ يُوجِب ذلك علينا خجلًا عظيمًا

إذْ أصبحت، بهذا النّصف أمًّا لنا!

-7-

(منْ ينظرُ إلى الأعلىْ، تنكسرُ رقبته)!

كيف لي إذًا تعلُّم الطَّيران

وأنا لا أرى من الطِّيورِ إلا فضلاتِها؟!

قطعة سما

إلى رزان زيتونة: باقة حريَّة

انحناءُ يد الأَمس على كتفِ المستقبل

أَمَلْ

الأَحاديثُ الصغيرة

عن أَلمٍ خفيفٍ في الذَّاكرة

وعن رغبة الانفلات... في المساءات

كطير الحَجَلْ

أَمَلْ

يأسُ جلَّاد من الابتسامة

ومن حراسة الأُسماء

التي طَلِعت حوله كالخزامى

ومن خيانة الرِّيح بعد أجل

أمَلْ

ونعاس ملك على كرسيِّه بفعل الملل

أمَلْ

وقوفَنا سهوًا، في شارع كَأَنَّه

فارق عطرَ الحبيبة توًّا

وارتباكنا عند اللقاء، بعذر البقاء

من دون عمل

أمَلْ

وتبادلُ عاشقين في الزَّحام

بضع قُبل

أمَلْ

قراءةُ الشِّعر، كتعويذة لطردِ الكآبة

وِانتحال صفة الحمام، وسط الرُّكام

لكنس البشاعة من دون كلل

أمَلْ

كذلك أمَلْ

تعثُّرُ اِللسان، ولملمة الذِّكرى

على عَجَلْ

عند حضور الأمَلْ.

لون الليل

في الليل

أمشي متعمدًا كي أراني

أتعثر في رؤياي:

أيُّنا يسخر من الآخر

أنا، أم عود الثقاب؟

في الليل

أعوي ككلب البدو على الكوابيس:

أما من أحدٍ

يطرد عني أناشيد الغربة؟

في الليل

لا تختال شجرةٌ على أختها

أو عليَّ:

كلُّنا نجهد... لنطرد العتمة!

في الليل

وعلى الرغم من كل أضواء المدينة

وجوهكم تشعُّ

وترفع عن كاهلي تيهَ المدينة

أصواتكم

أصواتكم

آه؛ المنارة!

...

لا تضيعوا الوقت

بالسؤال عن لون الوردة

كيف يبدو في الليل؟

هي تعرف ذلك أكثر منّا

فقط:

تحمَّلوا جرأة النظر.

هو ليلٌ

يفتِّش في الليل عن ذاته

لمَ العجب؟

هو شاعرٌ

يتقن مهنة الغَرقْ.

ضدّ نفسي

ستفعلُ حسنًا

إذا توقفت عن التفكير في أي شيء

أيِّ شيء تمامًا

مهما بدا لك عظيمًا، أو تافهًا

فكلاهما يَنقران بذورَ العقل نفسه

ستفعلُ حسنًا

إذا منحتَ قلبكَ لبائعٍ متجولٍ

فربَّما احتال به على صبية ما

تحبُّ اللهوَ

وتحطيم الذّكرى المؤلمة

ستفعلُ حسنًا

إذا أعتقت فمك

من مهمَّة الابتسامة البلهاء

ومنحته التقاعد

عن النُّطق بالكلمات الغامضة والمبعثرة

كالحديث عن الأملْ

مثلًا.

ستفعلُ حسنًا

إذا استقلت من الكذب، والكتابة

عمَّا كان

وعمَّا يجب.

فذلك يعني:

أنك بدأت تتعافى من نفسك.

خلاص

أَكرهُ، فيما أكره

الطَّاغية

وخادِمه كذلك

***

أَكرهُ مدرستي

التي علَّمتني سجن الأبجدية

وابتذال نون النسوة!

أَكرهُ، فيما أذكر

أبي

الذي أحب كل النساء

سوى أمي.!

***

أَكرهُ، مثلكم جميعًا

الفقر

فقد غمر بالوحل.

حتّى الوردة التي

حملتُها لمن أحب.

***

أكرهُ الدروب

التي مشيتُ عليها

لأنَّها أبعدتني عنكِ

وملأتني بالسَّفر.

***

وأكرهُ/على الأخص/ الشعراء جميعًا

فقد سرقوا القصائد

التي كنتُ أحبُّ أن أكتب.

***

وأكرهُ أيضًا

نفسي

التي اتَّسعت لكلّ هذه الكراهية!

إليَّ.. فقط

كثرٌ أحببتُ

عدد خيباتي

بئرُ ذاكرةٍ لا يَنضَب

***

ليس أقربَ إليَّ

من الألم

له فضلُ البصيرة

***

الأوفرُ همَّةً

الكآبة

ما كلَّتْ

تُشرق وتَغْرُب

***

أوفى أترابي

الموت!

يُقَاسِمني النَّفَسْ

***

كطيرٍ مقبوض الجناحين

ألمح نفسي ملقى في المدى:

على كثبٍ

أنا والهاوية

***

أغيثوني؛ أغيثوني

تعفُّفي هذا

نقائصي تكتملْ.

إليَّ.. أيضًا

الألم:

أن تتعلَّم الانتظار

وأنت ناضجُ الثَّمر

تطلُّ على الفصول، من نافذة الأمل العالية

ولا يأبه أحد

لا يأبه أحد.!

العدم:

يد عذراء، ويد فتيَّة

يصفرُّ عشب الأربعين

وكلَّما غالبَتْ لمسةٌ الرَّماد

يدٌ ترتجفُ.

صخب:

نقطة ضوء تحوم حولك

كالذُّبابة

الآن

الآن تمامًا

وأنت تفرغ حاضرك من الماء!

استغاثة:

رفقًا بي

أيَّتها النَّسمة الباردة

فأنا مثلُكِ

يملأُني شغفٌ إلى العشبِ

ومثلكِ

يأسُرني الشِّتاء

يشرق صباحي بك

إلى: سعاد طيب

يشرق صباحي بك
يا عبَّاد الشَّمس
وما إن تنظر إليَّ
حتى تتوه في الضّوء كلماتي

***

أهجسُ: الثِّقة!

فأطير فرحًا

وما أن أرى عبَّاد الشَّمس

حتى يتبدَّد، كالغيم، غروري

كم مؤلم.!

أن تنظر إلى عبَّاد الشَّمس

من زجاج نافذتك

أنت لا ترى إلَّا

ألمكَ ذاته.

***

أتأملُ وسِعَ حلميَ

عبَّاد الشَّمس:

بيني وبينكِ هوسٌ خفيفٌ

هل يمضي نيسان، ويتركنا

لبرد الرصيف!

كرنفال

إلى: خليل الحاج صالح

أَعدّوا المكان، كصنَّاع مهرة

تمامًا كما وَردَ في الدَّليل الخاصْ

ولم يتركوا شيئًا على طبيعته

أو لطراوة الصُّدفة.

كؤوس النَّبيذ تلمع، كالأماني

والجدران مغطاة بالشرائط الملونة

وبالطبع، لم ينسوا موسيقاهم الأثيرة

وانتصبوا واقفين لساعةِ الرقص

ذراعا رجل ممدودتان

وخصر امرأة يتأهب!

وظلوا واقفين، صامتين

لينالوا السعادة

تمامًا كما ورد في الدَّليل الخاصْ!

الورقة.. وما بعدها

على طاولة مقهى دمشقي

جلس قبالتها..

ويالها من حماقة

في أن أُقبِّل جبين من أعشق

وأعجز عن قول: أحبك

***

ثمَة ما يدهش فيكِ

جاذبية المصيدة

الظلمة، وأنا

أولى فرائسك!

وفي اقتفاء أثر الحكمة الضَّالة

ألِف الدَّرب: جسد يتعلم الأبجدية على جسد

وياؤها: ماء يتدفق في أرض الحكمة

لتخضرَّ

درس من لوركا

كنتِ تخافين نباتات الشمس

كان ذلك منذ عرفتُكْ

***

نمشي معا في الشوارع

ونحن نغافل عن قصد الطيور

والأشجار.. والأبنية

لئلا نفسد عليها خلوتها مع القمر

المهاجر

في اليوم التالي

تملكتني الجرأة

يرمي حزني في سلَّة القمامة.

كي أكون جديرًا بالحلم الذي يليق

بكِ

وسأبوح لكِ بسرٍ، وأنا أعني ذلك:

لا تتركيني

صرتُ أخاف الوحدة

بدأ ذلك منذُ عرفتكْ

ليس لأني أحبكِ

ليس لأنّي أحبُّكِ

هذا مطرٌ، يبللنا معًا!

***

ليس لأنكِ أجمل النساء

هذا وجع الخائفين

من الشِّتاء!

أنتِ وحدك من احتضن حزني

كغيمة نيسان

كما أمِّي

التي تَفعلُ ذلك في كل الفصول!

***

وعبثًا

محاولة تقفّي ملذاتكِ جميعًا

فهي لا تزن

احتواء آخر لجسدكِ المدهش!

وكلامٌ قليلٌ يكفي ليدلني إليكِ

إنّ روحكِ:

هذي المتعبة

المترعة

العالية

المبعثرة

هي سماءُ هذي القصيدة

أُهديكِ.. شتاء

بيننا..

يخضرُّ عمرٌ

إذ يمسّه الماء

كلامٌ عن المطرِ

عن السَّفر والضَّجرْ

كلامٌ

عن الأملِ المؤجَّلِ

وارتباك الابتسامة على وجل

وبيننا يفرُّ العمر من أثقاله

ويعدو معنا كدلع الحَجلْ

بيننا

ألوانٌ مبعثرةٌ

ومسافرٌ يحنُّ إلى وطن

رباعيَّات في الحب

-1-

ظاهرُ الحبِّ:

معنىً يعانق معنى

باطِنهُ:

صراعٌ على التَّأويل

***

لا يوازي الموتَ حدثًا

كالحب:

كلاهما يقبض القلب كلّه!

غريبٌ أمرُ هذا الحب

يقبل المرء فيه

ما لا يقبل به

بالحرب!

***

هل جنّ جميلٌ فعلًا؟

أشكُّ فيذلك!

الحبُّ وحده

عصر تنوير.

-2-

يقال:

إنّ الحبَّ يفضح صاحبه

أزِيد:

يجعله مُهرِّجًا.

***

"لا يُلدغ المؤمن من جحرٍ مرّتين"

خلاف ذلك:

العاشق

يحسب اللّدغة قُبلة!

***

ما منطق القول:

إن الحبَّ أعمى.؟

واحدٌ يرى بالعين

وآخرُ يرى بالقلب

أيُّهما أبقى؟

***

حُبٌّ لا مفرّ منه.

لا احتيال عليه.

لا خسارة فيه.

-3-

أكثر ما يفسِد الحبَّ

هوَس الرّجل

بالانتصارات!

عندما تملك مثلها

أبدية النار

وسكون البحر

وغضب الرِّيح

عندها فقط تتحرَّر منها

***

كي تصبح جديرًا بها:

انتبه الى أثر الريح في الأشجار

فربَّما سقطت عنها ورقة صغيرة

وكان عليك، أنتَ ذاتكَ

أن تمنع ذلك!

-4-

الكلام:

إذ يهطل

نهر يتدفَّق

أو

نبع يتهيَّأ للانفجار

وإلاَّ

نورسٌ يهاجر

الكلام أزل

السَّماء:

وجعٌ بلا دنسٍ

وجعٌ نطق بالمهد

من شاء فليعشق

ومن شاء

فليغترب!

العتبة:

لا تعتذر عن الحب

اعتذر لنفسك عمَّا فعلتَ بها

بجهلكَ ذلك!

غرفة إبليس

صباحًا

أعدَّ لنفسكَ ما استطعتَ من قوّة الإيقاعِ
تُرقص بها موتًا لا يموت!
واحمل الألم على ظهركَ
كالطفل الوديع
حتى يشتدَّ عوده ويقتل فيه أباه
وخديعة السكينة.
ولا تقع كلَّكَ

في عشق أنثى واحدة

فإن رحلتْ

أخذتْ معها النساء كلهنَّ

وقلبكْ

ظهرًا

لا هاوية تعشق كالشِّعر

أنَّى سقطتَ!

ثمَّة مدى آمنٌ أنتَ فيه

من هوس الانتحار

ومن وحشة ستائر مُسدلة!

وإليها المآل

إليها المآل

***

أيُّ ألمٍ هذا!

أمشي متكئًا على الشهيد

عصرًا

يا خيبةُ.. يا أملْ

ملاكيَّ:

إن،عدتُ يومًا خاليَ القلق

لا تتركاني فريسة سهلة للرماد

لا تدوِّنا السطرَ الأخير

عند الشهقة الأخيرة

اتركاه فارغًا لأجلي

لأفق الابتسامة!

ليلًا

في الضَّوء.. ألهو

كطفلٍ

في الحب أعلو

كنوٍّ

***

في الظلّ أحبو

ككهلٍ

في الحصار أجثو

كقبوٍ

في الذِّكرى

أصبو

كبَغوٍ

***

في القبر

أنا

هو

.